

هكذا هُزم الأسد في الرستن



السبت 15 نيسان 2017 - 10:26

### الحلقة الثالثة

في الحلقة الثالثة يتحدث العميد الركن أنور محمود سعد الدين عن الاجتياحات الثلاث التي تعرضت لها الرستن، وكيف حرّرت، وانشقاق شقيقه العقيد قاسم سعد الدين، وتجمع الضباط المنشقين في مخيم بتركيا، فيقول: "بعد إسقاط تمثال حافظ الأسد في الرستن وتظاهرات الاحتجاج الواسعة، قرر بشار الأسد وقيادته العسكرية ان يجتاحوا مدينة الرستن (أواخر أبريل - مايو 2011)، وكان هذا اجتياحها الأول والأضخم، فاجتمعت أكثر من ثلاثة ألوية مدرعة ترافقها قوات خاصة وحاصروا الرستن ومعها منطقة تلبيسة التي تبعد عن الرستن بحوالي 10 كيلومترات، فقتل الضابط محمد طلاس وطفلة من آل الخطيب عن طريق الخطأ أو العمد لا ندري، وذلك في اليوم الأول من قبل الجيش النظامي. وقد كان الضابط يرافق الطفلة إلى المدرسة ولم يكن لديه علم أن الرستن محاصرة بسبب أنه كان آتياً من حمص، فأمره الجيش بتغيير طريقه وأن يتجه إلى ناحية طريق المزارع، وعندما دخل برفقة الطفلة إلى طريق المزارع أطلقوا عليهما الرصاص. هذا الخبر استفز رجال الرستن ورغم محاصرتهم قرروا الدفاع عن المدينة وأهلها، فاستمرت المعركة يومين في تلبيسة. وبعدها اجتاحت الرستن وتكبد الأمن خسائر بالآليات حيث دمرت لهم سبع دبابات وعربات بي أم بي، إلا أنهم تمكنوا من اقتحام المنازل واعتقال العشرات ثم انسحب الجيش النظامي إلى خارج المدينة وتحديداً إلى الجسور الرئيسية والمفارق الزراعية استعداداً لعملية التمشيط (وكان عمليات التمشيط ما بين الهادئة والمتوسطة) فيتم اعتقال شخصين أو ثلاثة كل يوم حتى كثر عدد المعتقلين. وخلال هذه الفترة انشق الملازم عبد الرزاق

طلاس وقبله انشق الملازم أحمد خلف الذي استشهد بعدما تدخل رجال من لوائه عند والده يطلبون إليه أن يعيد إليهم الملازم خلف إلى صفوفهم وهذا ما حصل، ولكنه لم يصمد في عودته لأسبوعين فعاد وانشق وتبعه عدد كبير من ضباط الرستن برتبة ملازم وملازم أول احتجاجاً واستكراً لاجتياح مدينتهم. وبعد هذه الانشقاقات بدأت تتشكل نواة الجيش الحر أو لواء الضباط الأحرار أو ما سمي أيضاً بأحرار الرستن، فانشق بعد هذا التشكيل الرائد عبد الرحمن الشيخ علي وصار كل الضباط المنشقين تحت قيادته. وأحيطت حركة عناصر الأمن السوري بحذر شديد آنذاك داخل الرستن خوفاً من عمليات عسكرية ضدهم.

### الاجتياح الأول: 65 شهيداً وألفاً معتقل

بعد الاجتياح الأول للرستن وصل عدد الشهداء إلى 65 في الأيام الثلاثة للاجتياح في (27 و28 و29 أيار -مايو) فيما دُمّرت 14 دبابة بمقاومة الثوار، ولأمس عدد الجرحى حوالى الـ300. وفي اليوم التالي من الاجتياح كان ابني مضر وهو الأصغر ما زال في صفوف الجيش النظامي فطلبت منه أن يزودنا بعدد من الطلقات لأن الذخيرة شارفت على النفاد، وكان هذا الطلب بمثابة المخاطرة على حياته إذا انكشف أمر تعاونه مع الثوار، وكان هذا الفعل بمثابة الخيانة للجيش النظامي في حال افتضح أمره.

وبعد الاجتياح توقفت عمليات الاقتتال وبدأت عناصر الأمن بتسيير دورات مؤلفة (بعديد خمس سيارات). وخلال هذه الدوريات التي كانت تستمر لساعتين من الزمن كان يعتقل خلالها ما يقارب سبع أشخاص يومياً حتى بلغ عدد المعتقلين الـ2000 شخص، واستمر هذا الحصار حتى 29 من شهر أيلول - سبتمبر 2011، تركزت خلال هذه الفترة الدبابات والآليات حول اللاذقية، وشهدت هذه الفترة نسبة عالية من انشقاقات الضباط استشهد معظمهم ومن بقي منهم شكل ألوية سميت بالضباط الأحرار مزودين بأسلحتهم التي كانت بحوزتهم أثناء خدمتهم في صفوف الجيش النظامي.

وحصل حينذاك تعاون بين بعض الثوار الذين شكّلوا خلية عسكرية بعديد مؤلف من سبع مئة شخص، وبين عساكر كانوا يحاصرون الرستن على مدى شهرين، فكان يتم الاتفاق بأن يكتب العسكر تقارير إلى قياداتهم أنهم أطلقوا النار على المسلحين حتى يتمكنوا من بيع رصاصهم إلى الثوار في محاولة لمساندتهم (وكانت تباع الطلقة في هذه الأثناء بخمس ليرات سورية حتى يتمكنوا من شراء الطعام لأن النظام لم يكن يزودهم بشيء أثناء الحصار والاجتياح). ولتأكيد كلامهم كانوا يطلبون من الثوار أن يطلقوا النار على الدبابات التي تحاصر الرستن بمعدل طلقتين أو ثلاث حتى لا يفتضح أمرهم. وبعدما ضعف العسكر تمكن أهالي الرستن من الاستيلاء على آليات البي ام بي التي كانت تحتاج إلى 11 عنصراً، فكان يتم الاستيلاء عليها من قبل ثلاثة أو أربعة عناصر أي بأقل من خمسين بالمئة من ملاكها. الثوار بدأوا يستعدون ويرصون صفوفهم وعديدهم بمساندة كل الأهالي حيث فتح صندوق لجمع المال لشراء الذخائر، وكل واحد يسهم بحسب قدرته المادية، فشري السلاح ممن عملوا في استيراد الأسلحة للثوار في الوقت الذي ظن فيه بعض الناس أن الثورة همدت أو انفرطت، فتواصل الأهالي مع سكان الحولة وعز الدين وزعفران فكانوا يذهبون للاشتباك في حمص في بابا عمرو والخالدية وبدأوا يشكّلون في بابا عمرو نوعاً من النواة بخاصة أن باب عمرو شهدت في هذه الفترة تظاهرات يومية، فكانت حمص عاصمة الثورة، حتى تحرك الثوار وسيطروا على المدينة سيطرة كاملة، وبدأوا يعترضون كل العناصر الأمنية المتحركة على الطريق العام في الرستن.

### الاجتياح الثاني بدبابة و250 مدرعة

وبدأت تشهد الرستن اشتباكات يومية من قتل وذبح، فضاق النظام ذرعاً بعدد قتلاه واستعد لاجتياح ثانٍ للرستن وكانت أشرس حملة عسكرية يمكن أن أشهداها في حياتي العسكرية، حيث حشدوا للعملية 250 دبابة ومدرعة و500 عربة قتالية، فتقدمت الـ250 دبابة إلى الصفوف الأمامية لمحاصرة الرستن ودار القتال على مدار الـ24 ساعة يومياً على مدى خمسة أيام متواصلة لم يهدأ خلالها إطلاق النار ولا رمي القنابل ولا حتى تهديم البيوت. الاجتياح الثاني بدأ فجر اليوم الأخير من شهر سبتمبر، حيث انقطعت في بادئ الأمر الكهرباء عن المدينة وخلال ربع ساعة من انقطاع التيار الكهربائي بدأ القتال، وكان رياض عبد الرحمن على رأس الحملة العسكرية وسانده شبان من حماة للدفاع عن الرستن، إلى جانب الملازم أول أحمد خلف الذي قتل في هذا الاجتياح.

في هذه الأثناء كان ابن خالتي وسيطاً غير مرئي مع الجيش النظامي، فكان نوقده لبأئينا بأحاديث ضباط الجيش النظامي وما يضمرونه ويخططونه للرستن، وكانت مشاركته تتم بنقل الأحاديث فكان يخبر عناصر النظام بأنه سمع الأهالي يقولون كذا وكذا حتى يتمكن من سحب المعلومات منهم وإمداد الثوار بها.

ووقع في هذه الفترة خلاف بين عبد الرحمن وعبد الرزاق طلاس ولم يكن خلافاً جوهرياً، حيث طلب عبد الرحمن من طلاس أن يخرج من الرستن، فقال عبد الرزاق أنا لست من الجيش السوري ويمكنني أن اتصرف من خارج الرستن وخارج باتجاه الزعفرانة على رأس مجموعة قتالية، وخاض عبد الرحمن وبقية الضباط معركة الرستن وتمكنوا خلال ثلاثة أيام من القتال الضاري أن يدمروا 40 دبابة للجيش النظامي على مشارف المدينة (الرستن). وكان رد النظام لأول مرة على ثوار الرستن برمي ذخائر كيماوية من الطائرات فبدأت حالات الدمع تنفث في صفوف الأهالي، فدعت نساء وأهالي الرستن أن يرحمهم الله من هول هذه القنابل، وبقدرة رب العالمين امتلأت السماء بالغيوم وهطلت الأمطار بغزارة. وفي اليوم الرابع ضعفت ذخيرة الجيش النظامي، فتمكن الثوار من اختراق الطوق الأمني، علماً لو تمكن الجيش النظامي من استقدام الذخيرة لقمع حركة الثوار لأنهم كان معيّنين لها بأعلى المعايير لكن قلة الذخائر جعلت اختراقهم سهلاً وقد وقع في جبهات عدة في الجهة الجنوبية الغربية من الرستن بحدود الـ 700 متر، وفي المنطقة الشرقية اخترقوها بحدود الـ 400 إلى 500 متر. أما الحدود الشمالية فاخترقوها بحدود الـ 800 متر. وفي اليوم الخامس كان الثوار يسيرون بين الدبابات بكامل عتادهم، وهذه كانت من علامات انتهاء المعركة الثانية وقد وصل إلى مسامعنا مشادات كلامية بين الثوار والعناصر الأمنية. وتبين أن عناصر النظام كانت متخوفة جداً من هذا الاجتياح إضافة إلى نفاذ ذخيرتها الأمر الذي سهل فشل عملياتهم وإلا لكان بإمكانهم إحكام سيطرتهم علينا، ولكن انتهت النتائج بتدمير 52 دبابة في أراضي الرستن واحدة منها بي أم بي فجروها في الطريق قتل من بداخلها وهرب عناصر الامن من مشارف المدينة، وكبدناهم 700 قتيل بين عناصر جيش وعناصر أمن وعدد الجرحى لأمس الألف. فأتى الأمر باجتياح ثالث بأن يسيطر على كل حي من أحياء الرستن فتمكنوا من دخول 28 حياً تسيطر عليها مجموعة قتالية بقرام أكثر من 120 عنصراً يرافقهم آليات بي أم بي وأحكموا سيطرتهم بطريقة لا يمكن للناس فيها من التحرك من منازلها، ومن يتحرك كان يخضع لعملية تقتيش. أما إطلاق النار فكان يبدأ بعد الغروب بشكل كثيف. استمر هذا الوضع حوالي الشهرين حاولوا ترويب السكان قدر المستطاع، فكل الليل يشهد إطلاق نار وقنابل وقطع التيار الكهربائي عن المنازل واعتقل 2000 شخص خلال هذا الاجتياح.

وأثناء معارك بابا عمرو تم التحضير لتحرير الرستن وذلك في 30 من الشهر الأول عام 2012 حيث كان العقيد قاسم في ضيافتي يرافقه ملازم أول وابني قصي، فأبلغني العقيد قاسم أن هذا آخر يوم له في العسكرية، وقال: أريد الانشقاق ومشاركة الثوار، فالعميد قاسم كان مجبراً على المشاركة في اجتياح الرستن، وقال إنه لم يعد لديه القدرة على الاستمرار تحت إمرة النظام.

في 1 شباط فبراير 2012 وكان عدد الثوار حوالي 350، فيما عناصر النظام كانوا بحدود الـ 2500 ترافقهم الدبابات. وبدأت معركة تحرير الرستن يرافقها عمل عسكري مركز على بابا عمرو وتمكن الثوار في الرستن من جرح وقتل وأسر عدد كبير من عناصر الجيش النظامي. وفي اليوم التالي قتلوا 40 عنصراً واتصلوا بطبيب المستشفى الحكومي وقالوا له تعال خذ عناصركم من هنا، فطلب من مشفى حمص سيارات إسعاف لنقل الجثث وهو يعتقد أنهم حوالي الثلاثة أو الاربعة. ثم جرى اتصال آخر لسحب باقي الجثث فقال لهم أحد الضباط من الجيش النظامي، نحن لنا عندكم فقط 11 جثة والبقية كلاب!

### الخروج إلى تركيا

جاء إلي العميد قاسم سعد الدين في 30/1 وقال لي أريد أن أنشق، وكان معه أحد أقربائنا وهو ضابط اسمه عقبة سعد الدين وثلاث ضباط آخرين مع ثلاث بنادق روسية ورشاش بي كي سي وسيارة مملوءة بالذخيرة، وتحرك الجميع تحت ستار الليل، واستغرق تحرير الرستن حوالي عشرة أيام. ثم بدأ قصف المدينة من المناطق المحيطة بها بكافة أنواع الأسلحة، ولم يتوقف القصف منذ ذلك الحين. أما من جهتي، فبعد خروجي من الرستن وإقامتي في مكان لن أذكر اسمه ما بين دمشق وحمص، قررت العودة إليها في 4/7، وكان الوقت مساء حيث نمت ثلاث ليالٍ في ذلك المكان. وفي الليلة الرابعة سرت إلى الرستن على الطريق العام بحماية الجيش السوري الحر. وصلنا إلى المنطقة وكانت الاشتباكات دائرة في منطقة تليبيسة. انتظرنا حوالي الساعتين حتى تهدأ الأمور، ثم وصلنا إلى الرستن وكانت تتعرض للقصف. وهناك التقيت مع الثوار ومع الأخ العميد قاسم والملازم أول عبد الرزاق والأخ النقيب عمر الديب، وتحدثنا عن توحيد الجيش السوري الحر والمعارضة المسلحة. وبعد سبعة أيام قال لي العميد قاسم إن الطريق مفتوحة إلى خان السبل في إدلب وإلى منطقة لن أسميها الآن، فتحركنا نحو البادية حوالي 200 كيلومتر إلى خان السبل. وفي صباح اليوم التالي، أرسلنا إلى ضابط ملازم أول اسمه عبد الله عودة، وكانت مجموعته قد دمرت عشر دبابات على الطريق العام، وحرر الثوار خان السبل وسراقب. وكان معي ولداي مضر وقصي وزوجة مضر وحفيدي سيف، حيث اتجهنا بعد ذلك إلى مدينة أطمه بمرافقة ثلاث أو أربع سيارات، في المقدمة سيارة كشافة وسيارة مرافقة وسيارة في الخلف، حتى وصلنا إلى مفرق إدلب حلب دمشق شمالي مدينة سراقب، ودخلنا منطقة تماس حيث شاهدت منظرًا جميلاً وقد تحررت المنطقة من كل عصابات الأسود.

وصلنا إلى مدينة أظمة حيث التقيت مع الأخ العقيد عبد الجبار العكيدي قائد معركة تحرير حلب وكان تولى قيادة معركة تحرير الريف، كما التقيت بعض الإخوة العائدين من مخيمات تركيا إلى سوريا وأخبرونا عن الصعوبات التي واجهوها هناك. تخطينا الحدود التركية ودخلنا إلى مخيم الضباط المنشقين والمتقاعدين وبعض المدنيين، وهناك وجدت تيارات عدة، واحد يرعاه الأخ رياض الأسعد ومعه مالك الكردي وعارف الحمود وبعض الضباط من رتبة عقيد فما دون، وتيار آخر يقوده العميد مصطفى الشيخ، وكان أول تشكيل للقائدة العسكرية المشتركة. وتحرك اللواء محمد الحاج علي بتنسيق مع الأردن فسافر إلى قطر والإمارات ومصر، واجتمع مع بعض السفراء الأجانب. برز برنامج آخر، تضمن العميد قطيش والعميد سليم إدريس والأخ ماهر النعيمي للإعلان عن القيادة العسكرية الثورية في الداخل.

أعلننا انشقاقنا وكان انشقاقاً مدوياً، حيث كنا 12 ضابطاً، ثم توالى وصول الضباط المنشقين من الرستن حتى وصل العدد إلى أكثر من 70 ضابطاً، وبلغ عدد الضباط المنشقين عموماً أكثر من 150 ضابطاً، وهو ما أربك إدارة المخيم في محاولة استيعاب الضباط المنشقين وعائلاتهم.

جميع المقالات تمثل رأي كاتبها فقط